الغدير.. والواجبات ومعارف التي يضعها على عواتقنا

المناسبة: عيد الغدير الأغر

الحضور: شتى شرائح الشعب

المكان: طهران ــ حسينية الإمام الخميني قدس سره

الزمان: 1393/7/21ش. 1435/12/18هـ. 2014/10/13م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أبارك عيد الغدير السعيد لكل الحضور المحترمين، الإخوة والأخوات الأعزاء، ولشعب إيران العزيز، ولكل الشيعة، بل لكل الذين يشعرون بالارتياح والأنس لحقائق الإسلام ومعارفه وما في هذا الدين الشريف من توعية وعلوم. وأرحب بكل الحضور المحترمين، خصوصاً الإخوة والأخوات الذين تفضلوا بالمجيء من أماكن بعيدة وزيّنوا هذه الحسينية بحضورهم. نذكر نقطة بخصوص قضية الغدير، ونشير إلى نقطة حول الواجبات التي يضعها الغدير ومعارف الغدير على عواتقنا، ويجب أن نتفطن لها.

إن قضية الغدير قضية على جانب كبير من الأهمية في تاريخ الإسلام. أولاً أصل هذه الحادثة العجيبة المهمة وهذا البيان الشريف: «مَن كنتُ مَولاه فَهذا عَليٌّ مَولاه» (1) ليس بالشيء الذي يرويه الشيعة فقط، بل هو من الأمور المسلم بها. الذين أرادوا أن يشكلوا وينقدوا لم يشككوا في أصل صدور هذا البيان، إنما تحركوا نحو تأويله وتبريره ومعرفة معنى هذه الجملة، أما أصل الحادثة فهي قضية تاريخية إسلامية مسلم بها. والشبهات التي تعنّ لأذهان بعض الجدد على الأمور والانتهازيين الفكريين والمعرفيين الذين ظهروا حديثاً ولا سوابق مهمة لهم، هي نفسها الآراء التي ما برحت مطروحة منذ ألف سنة، وقد أجاب عنها العلماء الكبار، ولا توجد أدنى شبهة في أصل هذه القضية والحادثة ومعنى الجملة التي سأل فيها رسول الله (ص) الناس: «أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» (2) وفي سؤاله هذا إشارة إلى الآية القرآنية: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (3) ، ثم قال بعد ذلك هذه العبارة: «مَن كنتُ مَولاه فَهذا عليٌّ مَولاه». أصل هذه القضية لا شك ولا ريبة فيها على الإطلاق. ما ينبغي أن يقال حول مضمون هذه العبارة التاريخية الشريفة الزاخرة المعاني هو ما عدا تنصيب الإمام علي بن أبي طالب (ع) للخلافة والإمامة بعد النبي الأكرم ولوصايته (ص) – وهذا هو المعنى الشائع والرائج لهذه العبارة – هو وجود مضمون مهم آخر في هذا البيان ينبغي عدم الغفلة عنه، وهو تطرق الإسلام لقضية الحكم وسياسة الأمة وأهمية هذا الموضوع من وجهة نظر الإسلام.

الذين حاولوا عزل الإسلام عن الشؤون الاجتماعية والقضايا السياسية، وحصره في الأمور الشخصية والشؤون الخصوصية لحياة الأفراد – وكانت لهم في الواقع نظرة علمانية للإسلام، وقد روّج إعلام

الأعداء وأياديهم لهذه الرؤية بين المسلمين على مدى سنين طوال – الردّ عليهم هو حادثة الغدير. بيّن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك الظرف الحساس وفي الشهور الأخيرة من حياته وبأمر من الله تعالى قضية أساسية مهمة، هي التطرق لقضية نظام الحكم لما بعد زمن حياة الرسول الأعظم (ص). تنصيب الإمام علي بن أبي طالب (ع) هنا لا يعني فقط تنصيب الجوانب المعنوية، إنما يتسنى القول إن قضية الجوانب المعنوية لا تقبل التنصيب، إنما الذي يقبل التنصيب هو: الحكم وإدارة البلاد والسياسة وإدارة المجتمع الإسلامي؛ وهذا ما أوصى الرسول الأكرم (ص) الناس به. إنها نقطة على جانب كبير من الأهمية في قضية الغدير تمثل رداً حاسماً على كل الذين يتصورون ويشيعون انفصال الإسلام عن القضايا السياسية وشؤون الحكم وما إلى ذلك. وعليه، هاتان الحقيقتان، أي حقيقة تنصيب الإمام علي بن أبي طالب (ع) للإمامة بعد الرسول الأكرم (ص) وقضية الخوض في شؤون الحكم والسياسة والإمامة وإدارة الأمة بعد الرسول الأعظم (ص)، هذان الموضوعان البالغا الأهمية والحساسية موجودان في حادثة الغدير، وهما من المعارف التي تتضمنها واقعة غدير خم، ويمثلان درساً كبيراً لكل المسلمين، ولحاضر المسلمين وغدهم.

ما ينبغي أن نتنبّه له اليوم هو أن قضية الغدير قضية عقيدية. الشيعة وأتباع مدرسة أهل البيت (ع) ومدرسة الإمامة ملتزمون بقضية الغدير، وهذا هو أساس الفكر الشيعي وركيزته، ولا مراء ولا نقاش في هذا. الذين لديهم شبهات ونقاش يمكنهم مناقشة ذلك في المحافل والمجالس والأروقة العلمية التخصصية، ومنطق الشيعة منطق قوي، وحججهم حجج قاطعة ولا شك فيها، ولكن ينبغي أن لا يؤثر ذلك على الحياة العامة للمسلمين وتعاضدهم واتحادهم وأخوّتهم في ما بينهم. قضية الاختلاف بين فرق المسلمين – سواء فرقتا الشيعة والسنة، أو مختلف الفرق الموجودة داخل الفرقتين الإسلاميتين الأساسيتين – من البؤر التي يطمع بها أعداء الإسلام وليس أعداء التشيع فقط. على مدى سنين طويلة انصبّت المحاولات والمساعي على تأجيج الخلافات بين المسلمين، لأن الخلافات بين المسلمين من شأنها أن تصبّ همم المسلمين وطاقاتهم ودوافعهم على معارك داخلية أهلية، فلا يعودوا يهتمون بقضاياهم الخارجية وأعدائهم الكبار. كانت هذه هي السياسة الأساسية للاستعمار طوال سنين متمادية وبعد انتصار الثورة الإسلامية وتأسيس نظام الجمهورية الإسلامية في إيران، فقد لاحظوا انتشار فكر الجمهورية الإسلامية في العالم الإسلامي، وبالتالي راحوا يشددون أكثر على سياسة التفرقة ويصرون عليها ويستثمرون من أجلها، وهدفهم فصل الجمهورية الإسلامية عن العالم الإسلامي.

لقد استطاع نظام الجمهورية الإسلامية وثورتنا الكبيرة وإمامنا الخميني الكبير أن يستقطب أفكار العالم الإسلامي ويجتذب قلوب المسلمين، ويوجّه دوافعهم ومسيرتهم في الاتجاه الصحيح، وهذا ما أخاف الأعداء والاستعمار والاستكبار والصهيونية، وأخاف على وجه الخصوص أيادي السياسة الأمريكية،

فلجأوا إلى نفس السلاح القديم، وهو سلاح بث الخلافات والتفرقة. في الوقت الحاضر وعلى مدى هذه الأعوام الطويلة، عملوا أكثر فأكثر على تأجيج الخلافات بين الشيعة والسنة من أجل أن يصرفوا أذهان الجانبين عن العدو الأصلي – وهو عدو الإسلام وليس عدو التشيع خصوصاً أو عدو التسنن خصوصاً – وإشغالهم بأنفسهم بعضهم ببعض. هذه هي سياسة الاستعمار. والمتخصص في هذه السياسة هي الأيدي السياسية والأمنية للحكومة البريطانية الخبيثة التي نشطت في هذا النطاق منذ القديم وعملت وأتقنت كيف تشعل الخلافات بين الفرق المسلمة، وجرّبت طرائق ذلك، وهم على علم بهذه الأساليب ويعملون بشكل دؤوب.

هذا التيار التكفيري – هذا الشيء الذي ظهر اليوم في العراق وسورية وبعض بلدان المنطقة الأخرى، والذي راح يواجه في الحقيقة المسلمين كلهم وليس الشيعة فقط – من صناعة يد المستعمرين أنفسهم؛ هم الذين أوجدوا شيئاً اسمه القاعدة وداعش من أجل مواجهة الجمهورية الإسلامية، ولمجابهة حركة الصحوة الإسلامية، لكن النار طالتهم ووصلت إليهم اليوم. طبعاً حتى في الوقت الحاضر عندما ينظر المرء نظرة تحليلية دقيقة يجد أن المساعي التي تطلقها أمريكا وحلفاؤها في إطار ما يسمّونه «الحرب ضد داعش» – وهي أمر غير حقيقي – هي مساع لأجل توجيه عداء المسلمين نحو بعضهم أكثر من كونها مساع للقضاء على نطفة هذه الحركة الخبيثة. يحاولون أن يوقعوا بين المسلمين، وقد جعلوا ذلك في الوقت الحاضر على يد هذه الجماعة الجاهلة المتعصبة المتحجرة العميلة، وإلّا فالهدف الرئيس هو ذاك الهدف، يحاولون أن يصرفوا المسلمين عن عدوهم الحقيقي. علينا أن نعلم ذلك – سواء كنا من الشيعة أو السنة؛ كل من يلتزم بالإسلام، وكل من يؤمن بسيادة القرآن يجب أن يعلم ذلك – وهو أن أمريكا وسياسات أمريكا والسياسات الاستكبارية والسياسات الصهيونية تعادي الإسلام وتعادي الوعي الإسلامي وتخاصم سيادة الإسلام؛ والمساعي التي يبدونها اليوم هي تتمة مساعيهم طوال 35 عاماً. منذ 35 عاماً وهم يبدون أنواع المساعي والمحاولات ضد الجمهورية الإسلامية، والتي باءت كلها بالفسل بإذن الله وبحوله وقوته، وسوف يخفقون في هذه أيضاً بكل تأكيد بفضل من الله.

واجب المسلمين – سواء كانوا مسلمين شيعة أو مسلمين سنة – هو أن لا يساعدوا العدو عن طريق استفزاز مشاعر بعضهم البعض. على الشيعة أن يعلموا أنه إذا جرى تحريض واستثارة الخلافات والمعارك والحساسيات بين الشيعة والسنة، فإن العدو المشترك سوف يربح وينتفع، لذلك ينبغي أن لا يسمحوا بذلك. وكذا الحال بالنسبة للسنة أيضاً. على الجانبين أن يحذروا ويتفطنوا ولا يستفزوا مشاعر بعضهم بعضاً، ولا يوجّهوا الإهانات لمقدسات بعضهم، ولا يؤجّجوا نيران المعارك بين طوائف المسلمين والجماعات المسلمة، وخصوصاً بين الشيعة والسنة، فهذا ما يهلل له أعداء الإسلام. يجب على الجميع أن يتنبهوا لهذه القضية. إذا فعل شخص شيئاً على هذا الصعيد مما يستفز مشاعر الطرف المقابل ويخلق العداء

والضغينة فليتيقن من إنه يساعد أمريكا وبريطانيا الخبيثة والصهيونية. إنه يساعد الذين أوجدوا داعش والقاعدة وأمثالهما وأطلقوا التيار التكفيري لإشعال الخلافات والنزاعات بين الشيعة والسنة. الاتحاد الإسلامي والأخوّة الإسلامية والتضامن الإسلامي هو اليوم من أوجب وأهم واجبات كل المجتمعات الإسلامية، وينبغي على الكل الالتزام بهذا الواجب. طبعاً المسلمون المؤمنون الواعون ذوو البصيرة الذين يعيشون في نظام الجمهورية الإسلامية يعرفون واجباتهم، ونتمنى أن يبدوا التزامهم بهذه الواجبات هنا وفي كل مكان. وفقكم الله تعالى جميعاً ومتّعكم جميعاً وكل العالم الإسلامي ببركات عيد الغدير إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

1 – الاحتجاج، ج: 2 ، ص: 450 ، خطبة غدير خم.

2 – جامع أحاديث الشيعة، ج: 23 ، ص: 742 .

3 – سورة الأحزاب، شطر من الآية: 6 .